

## الخطاب الديني أسير قاعدة «ما أريكم إلا ما أرى»

المتشددون ينصبون أنفسهم على دين الله وعقول البشر



تجميد الخطاب الديني لا تجديده

وشروحها ومتونها وحواشيها، بأن يغيروا النظرة إلى الخطاب الذي أرادوا أن يشيعوه بين الناس والذي لا ألق له بين ثانيا التطور الذي شهدهته مجالات اللغة والنظريات اللسانية وفهم الخطاب والياتة وتطور مجالات التقنية في علوم الحاسوب والمكتنة والإنترنت.

خطاب التشدد والتكفير والالتصاق بما قاله السلف دون تمحيص ولا دراية لن يمكن الخطاب الديني من التطور وفق مقتضيات تغيرات الواقع المعيش، وهذا ما يبقيه حبيس التاويلات والتفسيرات الماضية ما جعلنا حبيسي هذا الماضي دون نظر إلى حاضر تغيره لنبنني عليه مستقبلا قد يكون لا يكون.

نحن اليوم أمام سيل من التبعية الفكرية لمنظري تجميد الخطاب الديني لا تجديده، ولا يسعنا التفكير خارج إطار مؤسسة فقهاء التشدد والانغلاق، حيث يعتبرون أنفسهم الوسيط بين الله وخلقه، رغم أنه لا كهانة في الإسلام، وحياتنا لا تستقيم حسب مفاهيمهم إلا بصوك غفران يمهرونها بما يعتقدونه من أن ما يمتلكونه من سلطة يعطيها إياهم المقدس بوصفهم حراسه ومؤكدين على عقول الناس وإيمانهم والناطقين باسم الدين وإله الدين.

إن التطور التكنولوجي والمعرفي الذي ميز نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين لم يسعف هؤلاء الناظرين للزمن بأنه توقف عند ما علموه من كتب تراثية ومحتوياتها

واللغوية، فتاويل النصوص الشرعية بحسب أهواء صانعي فكر الانغلاق وفتاوى الطلب، أو هي كما قال المصريون متدريين زمن جمال عبدالناصر بفتاوى إمام الأزهر محمود شلتوت بأنها "فتوى مشلقة"، فكل ما يتم ذكره من دفاع عن قدسية النص هو دفاع عن مكانتهم بوصفهم حراس الدين وهم وحدهم القادرين على الفهم وغيرهم مجرد تابعين لما يرونه، فجمهور المسلمين من جهة نظرهم مجرد متقبلين لا عقل يحكم تصوراتهم، فهؤلاء لا يريدون للناس أن يروا إلا ما يرونه هم منطلقين من الآية القرآنية "ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد".

الخطاب الديني الماضي لن يتغير إلا إذا تغيرت نظرتنا نحن لواقعنا المعيش بما يحمله من متغيرات ونحن أولى بأن نعبد النظر فيه وفق ما يجعل هذا الحاضر ذا قيمة.

مسألة التاويل هي لب مسألة تجديد الخطاب الديني ذلك أن نصر حامد أبو زيد في كتابه "إشكاليات القراءة واليات التاويل" يقول "إن التاويل قد فتح باب الاجتهاد على مصراعيه، فاعطى للمؤول حرية واسعة في فهم النص، على الرغم من أن التفسير بالمأثور، بحسب المنهجية المتبعة، قد يضع بيد المفسر إمكانية موضوعية للفهم، حيث أن الاتجاه الأول يتجاهل المفسر ويلغي وجوده لحساب النص وحقائقه التاريخية

مسألة تجديد الخطاب الديني لا تزال تراوح مكانها في صلب معيشتنا اليومية ما بين راغب في تحويلها إلى أسس لتغيير الواقع بما يقتضيه من تحولات متغيرة عما سبقه وما وصلنا من تراث متعلق بنصوص الدين، سواء كانت قرآنا أو أحاديث أو أترا أو أقياسا، وبين من يرى النص قد انقلق واكتمل مع الرعيل الأول من فقهاء ومفسرين وما نحن إلا عالة على من سبقنا ولم نصل بعد إلى إدراك ما قننوه ووضعوه من مبادئ في مقاربة تلك النصوص.

لهم علاقتهم بربهم؟ إننا لا ننسى موقف المتشددون من قراءات نصر حامد أبو زيد ومحمد عابد الجابري وحسن حنفي ومحمد أركون وعبدالمجيد الشرفي وغيرهم من المفكرين للنص الديني ومتغيرات التاويل زمانا ومكانا، حيث أن آراء هؤلاء لم تلق في نفوس أولئك موقعا لأنها لم تمس ما اعتنقوه وما آمنوا به من انشداد للماضي ومحاولة إسقاط ذلك على الحاضر في انتظار استشراف المستقبل الذي لن يكون إلا بالتعدد وليس بالقطب الواحد في الرؤية والتفكير.

النص الديني ما بين الثبات والتحول هو لب المسألة في التعامل مع عقل الماضي الجامد وعقل الحاضر الحائر وعقل المستقبل الذي لن يكون.

يقول نصر حامد أبو زيد في كتابه "تقد الخطاب الديني"، "لا خلاف أن الإسلام بالفعل حرز الإنسان من سيطرة الأوهام والأساطير على عقله، وحرر وجدانه وعقائده من كل ما يعوق حريته"، ومن خلال هذا لا تزال نترنح في فهم هذا التححر من الأوهام والأساطير ما دام عقلنا الفقهي لم يتحرر بعد من تلك النظرة الماضية للنصوص.

فالحيرة في التفكير هي أساس الدين وهي السبيل لفهم هذا الدين، وهي الطريق لمواجة مقتضيات التغير في كل عصر وأن من خلال التعامل العقلي المتحرر من كل هيمنة فكرية أو رؤية أيديولوجية تجعل النص مجرد ترديد لمقولات كانت صالحة في عصرها ومتكيفة مع مقتضياته.

سيطرة الماضي على العقل الفقهي بيئة واضحة إذ يسعى أصحابها إلى السيطرة على عقائد الناس بإنزال نوازل ذلك الماضي على حاضر متغير غير قرين بما تمت تبيئته في تلك الفترة.

عمارة محمد الرحيلي  
كاتب تونسي

الخطاب الديني بما هو بحث عما يفسر الواقع الذي يتواءم معه لا ينفك الجدل يدور حوله، ولبل ذلك المنوع الذي لا يمكن الاقتراب منه ولا النظر إليه باعتبار كتب التراث لها قداسة لا تتطلب إلا التسليم والرضا بما جاء فيها.

بين حين وآخر تطفو مسألة الفتاوى التي تثير غبار جدال ما بينك حتى يضمحل ولا نمسك منه ولو خيط دخان قد يهدينا سبل الرشاد.

جاء كورونا وقلب كل المعادلات وصاحبه عزل الناس في بيوتهم وغلقت كل الفضائات ومنها دور العبادة وانبرى سدة الدين والناطقون باسم الله إلى التحليل والتحريم وإصدار الفتاوى وبيان الخوف على دين الناس من خلال بيانات وأراء لا تمت للواقع المعيش بصلة بل منطلقة من اجتهادات سابقة لها سلطة على العقل ولا تمكن زحزحة التسليم بها.

## خطاب التشدد والالتصاق بما قال السلف لن يمكن الخطاب الديني من التطور وفق مقتضيات الواقع المعيش وتغيراته

أين نحن الآن؟ وأين نسير؟ في كل ملمة نجد أنفسنا في مفترقات طرق لا مفترق واحد، فمن له أحقية التصدي لتفسير المقدس وتاويلاته؟ هل نزل القرآن إلا للفقهاء أم للناس جميعا؟ من له الحق لينصب نفسه ناطقا بعقول الناس وقلوبهم وبين

## كورونا.. كابوس مثالي لبناء دولة دينها القانون

الدقهلية، يرفضون دفن طبيبة توفيت في المستشفى، بعد إصابتها بكورونا. يحتمل الإعلام الحكومي الخاص، بحكم كونه سلطويا تعويبا شعبويا غير مهني، النصب الأكبر من هذا السلوك؛ لإشاعته الرعب من الفايروس، والجهل بتوعية المواطنين بوسائل الوقاية، وكيفية التعامل مع المصابين وحرمة الموتى.

لو حضرت الدولة منذ البداية وفرضت سلطتها، كما فرضتها في إغلاق دور العبادة، لما جرى أحد على الاعتراض الذي انتهى باقبيص على 23 شخصا حاولوا منع دفن المتوفاة.

لا يابه المعترضون السفهاء لحديث نبوي يوصي بالإسراع بالميت إلى قبره، ولا يباليون بالقول المأثور "إكرام الميت دفنه"، ويتجاهلون تشديد بيان مفتي الجمهورية والأزهر على "حرمة إيداء المصاب بفايروس كورونا، أو الإساءة إليه ولو بنظرة، أو امتهان من توفي جراءه"، وأن الإصابة "ليست دنبا أو خطيئة ينبغي على المصاب بها إخفاؤها عن الناس كي لا يتعير".

كورونا ليزجهم مؤقتا، ويثبت عزيمتهم عن وقاية المواطن، ولا توجد تجربة لنجاح أحدهم في علاج مريض، ولم يجرؤ أي مدع - يحتج بأن لديه حصانة قرآنية - على زيارة مصاب بكورونا؛ لعلاجها بما يسمى الطب النبوي.

هذه الشعوذة اقترنت بها شعوبية أدت إلى جرائم لم يحسمها القانون. فلم تتوقف وقائع الاعتداء على مسيحيين مسلمين بتهمة الصلاة في بيت أحدهم لعدم وجود كنيسة، والتهمة الجاهزة هي صلاتهم في مكان غير مصرح فيه بالصلاة الموحدة، بإذاعة الأذان بصوت مشهود له بالجمال، من أحد المساجد ونقله في الوقت نفسه إلى المساجد الأخرى عبر شبكة الكترونية، ولم تنجح الفكرة للتواطؤ بين الاستبداد والتوجه السلفي المدعوم بالفاق الشيعي، ومن أعلى سلطة في مصر تقرر إغلاق الكنائس والمساجد في منتصف مارس 2020، ولم يمس الأديان سوء لتعليق صلوات الجماعة والأحد والجمعة. وحفظ النفوس من مقاصد الأديان.

إغلاق المساجد قرار أكبر من أن يتحمل مسؤوليته الفقه على المذاهب الأربعة، ولم يصدر بمبادرة واعية من وزير الأوقاف الذي أصر على استمرار إقامة صلاة الجمعة رغم خطورة التجمعات، هنا تكون المقاصد الصحية لحماية الأرواح مسؤولية سياسية، ولا تختلف عن الاشتراطات الفنية لبناء مصنع يحتاج إلى خبراء في هندسة التربة والبناء، ومتخصصين في الهندسة الميكانيكية والأمان الصناعي، ولا علاقة لذلك بالأخلاق التي يتذرع بها مشعوذون أفسح لهم الإعلام التغييرى مجالا لأداء تفسير الأحلام والعلاج بالقرآن. وجاء

على مصر فرصة نادرة، وأعادها إلى استبداد قامت الثورة للقضاء عليه. وفي الثانية يأس من قدرة الوسائل والآليات القائمة على تحدي كارثة الموت، وفي مواجهة الموت لا يلبق بالإنسان أن يكون جباناً ما دامت النهاية حتمية، فيجرب بدلا آخر إذا صح أنجاه، وإذا فشل فلن يخسر أكثر من خسارة متوقعة سلفا.

حاول استناد العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر محمود حمدي زقزوق، وهو وزير للأوقاف قبل ثورة 25 يناير 2011، إنهاء فوضى نشاز أصوات الكثير من المؤننين، وتبني مشروع الأذان الموحدة، بإذاعة الأذان بصوت مشهود له بالجمال، من أحد المساجد ونقله في الوقت نفسه إلى المساجد الأخرى عبر شبكة الكترونية، ولم تنجح الفكرة للتواطؤ بين الاستبداد والتوجه السلفي المدعوم بالفاق الشيعي، ومن أعلى سلطة في مصر تقرر إغلاق الكنائس والمساجد في منتصف مارس 2020، ولم يمس الأديان سوء لتعليق صلوات الجماعة والأحد والجمعة. وحفظ النفوس من مقاصد الأديان.

إغلاق المساجد قرار أكبر من أن يتحمل مسؤوليته الفقه على المذاهب الأربعة، ولم يصدر بمبادرة واعية من وزير الأوقاف الذي أصر على استمرار إقامة صلاة الجمعة رغم خطورة التجمعات، هنا تكون المقاصد الصحية لحماية الأرواح مسؤولية سياسية، ولا تختلف عن الاشتراطات الفنية لبناء مصنع يحتاج إلى خبراء في هندسة التربة والبناء، ومتخصصين في الهندسة الميكانيكية والأمان الصناعي، ولا علاقة لذلك بالأخلاق التي يتذرع بها مشعوذون أفسح لهم الإعلام التغييرى مجالا لأداء تفسير الأحلام والعلاج بالقرآن. وجاء

دولار استثمارتها اليابان في الاستعداد لاستضافة حدث رياضي ضخم لم يشهد مثل هذا التأجيل منذ بدايته عام 1896. لكن لكورونا وجهها آخر يختفي خلف شرارته، ولا تخلو كارثة تحمل ألف مظهر للموت من وجه واحد للتأؤل. تأتي فرص البناء هدايا في حالات الأمل والبأس، وفي كلتا اللحظتين فورة نفسية تشحن النفوس للاستجابة إلى التغيير والإسهام فيه.. في الأولى وتمثلها ثورة 25 يناير 2011 تلهفت الأرواح إلى ملاسة السماء، والرغبة الحقيقية في بناء دولة دينها القانون، ولكن سعار الإخوان المسلمين إلى الاستحواذ على السلطة والانفراد بالحكم أنهى التجربة بالفشل، وأضاع

السعيد بإغلاق المدرسة. وبالبحث في جوجل باللغة العربية يتكرر اسم "الله" 884 مليون مرة، و"كورونا" 412 مليون مرة. طوفان أجبر سكان الكوكب على الاعتصام ببيوتهم، وتفاوتت ساعات حظر التجول من مكان إلى آخر. وانقلق العالم على نفسه، لا طائفة في السماء إلا ما تحمل مواد إغاثة، وأغلقت الحدود والمطارات والمدارس والجامعات والمتاحف والمسارح وقاعات السينما والأفراح والعزاء، والغيث معارض الكتب والمهرجانات والمؤتمرات، وتوقفت المباريات والأحداث الرياضية في العالم، وتاجلت أولمبياد طوكيو من يوليو 2020 إلى أغسطس 2021، وأهدرت 12 مليار



إغلاق المساجد قرار أكبر من أن يتحمل مسؤوليته الفقه

سعد القرشي  
روائي مصري

الإجراءات الوقائية لمنع انتشار كورونا أثرت على كل الفعاليات، وتوصلت إلى أن تختصر زمن مهرجان الأقصر للسينما الأفريقية. ولم أتخيل أن فايروس غامضا يمكن أن يدخل العالم في كابوس غير مسبوقة، ويكاد يحكم الأبواب، ويمنع عنه المفتاح إلا بسطان العلم.

لم يكن لأشد المتساهلين أن يتوقع هذا الانقلاب الكوني وأن تقفز كلمة "كورونا"، إلى اللسنة بكل اللغات، فتطارد المتعلم والأمي والكبير والطفل

## جري التخلي عن الحلم بالدولة المدنية بعد ثورة 25 يناير، ويأتي كورونا فأرضا إرساء قواعد دولة بخطاب سياسي جديد

غابت الدولة، وحضرت مجالس عرفية انتهت بإدانة الضحايا، وصور أحكام أهلية تلتزمهم بمغادرة المكان. نهجير قسري أغرى مهووسين آخرين يدعون الغيرة على الإسلام بتكرار الاعتداء على مسيحيين آخرين. لا يجدي في هذه الوقائع إقناع المتعصبين بحسن الجوار، وإنما تنفيذ قانون لا يعرف المسلم من المسيحي، وهنا تحضر المقولة الخالدة لعثمان بن عفان "الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن". لو حضر القانون لما شاهدنا سلوكا غير آدمي للعثرات من أهالي قرية "شبرا البهو" بمحافظة